ما هي صفة الحيــاء ؟!

إنَّ الحياء صفة من صفات الله رب العالمين ، والملائكة والمرسلين ، وصالح المؤمنين ، فقد وصف النبي ﷺ ربَّه بذلك فقال :{ إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين }

وقول النبي ﷺ في عثمان رضي الله عنه {ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة } وهذا دليل على اتصاف الملائكة به ،

وهو خلق الأنبياء ، فقد جاء عن خاتمهم ﷺ : { أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح }

وقال أبو سعيد رضي الله عنه ينعت نبينا ﷺ : { كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها }

وهو خلق المؤمنين الصادقين ، فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه يُذكِّر النبي ﷺ الأمةَ بمناقبه فيقول:{ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ }

ويسأل النبي ﷺ أصحابه – وفيهم ابن عمر - : { إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي ، قَالَ ابن عمر : وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ ، ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : (هِيَ النَّخْلَةُ).

والحياء : أصلٌ من أصول الأخلاق، يحمل على ترك القبيح وفعل الجميل، والحياءُ مشتَّقٌ من الحياة،

وقيل في الحياء: هو ماء الوجه وهو خُلقٌ جميلٌ يحمل النَّفس على ترك الرَّذائل، ويحجزها عن السُّقوط في سفاسف الأمور وحمأة الذُّنوب، وهو من أقوى البواعث إلى الفضائل وفعل الصَّالحات، ويكفي الحياء خيراً كونه على الخير دليلاً؛

لأنَّ الحياء: انكسارٌ وانقباضٌ يجعل الإنسان يترك القبيح، ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ : {الحياء لا يأتي إلَّا بخير}.

الحياء والإيمان :

قال ﷺ : { الحياء والإيمان قرناء جميعًا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر }

فالإيمان صلة كبيرة بين العباد وربهم , ومن حق هذه الصلة , بل أثرها الأول تزكية النفوس وتقويم الأخلاق , وتهذيب الأعمال , ولن يكون ذلك إلا إذا تأسست في النفس عاطفة حيّة تترفع بها عن الخطايا وعن سفاسف الأمور .

أما الإلمام بالأمور الصغيرة دون تورع والوقوع في الصغائر دون إنتباه , فذلك دلالة فقدان النفس لحيائها وبالتالي تفقد إيمانها .

أحق ما يُستحي منه :

فإن أحق من يُستحى منه هو الله تعالى ، قال النبي ﷺ: { فالله أحق أن يُستحيا }.

وقد بيّن النبي ﷺ حقيقة الحياء من الله ، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: { استحيوا من الله حق الحياء } قلنا : يا نبي الله إنا لنستحي والحمد لله . قال : { ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء }
وهذا الحديث دليل على ما سبق ذكره ؛ من أن الحياء يصد عن قبيح الفعال وذميم الصفات .

نماذج من حيـاء الصحابة :

❁حياء فاطمة بنت محمد ﷺ:

احتاجت فاطمة رضي الله عنها إلى خادمٍ، فالحال شديدٌ: تطحن بالرَّحى والغسل، فاحتاجت إلى خادمٍ من مشقَّة العمل فزوجها علي ﵁ حاله معروف، ليس صاحب تجارات وأموال، فمن أين الخادم، فتتحوّل المرأة إلى أبيها، فذهبت فاطمة رضي الله تعالى للنَّبيِّ ﷺ تسأله خادماً، فقال :ما جاء بك يا بنية فقالت جئت أسلم عليك واستحيت أن تقول جئت أطلب خادماً هي ربما ترددت وغلب عليها في النهاية أن تذهب وتطلب، لما وصلت استحيت فاستحيت قالت: "جئت أسلم عليك" حتى إذا كانت الليلة القابلة أتته فقالت مثل ذلك، فاستحيت أن تسأل

أباها الخادم وكانت بحاجة إليه، ثُمَّ النَّبيُّ ﷺ علَّمهما ما هو خيرٌ لهما من الخادم :{ سبحان الله ثلاثاً وثلاثين الحمد لله ثلاثاً وثلاثين والله أكبر أربعاً وثلاثين قبل النَّوم يغنيان عن الخادم .} وهذا دليلٌ على أنَّ الأذكار تقوِّي البدن، وأتى رسول الله ﷺ فاطمة بعبدٍ قد وهبه لها، وعلى فاطمة رضي الله عنها ثوبٌ إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلمَّا رأى النَّبيُّ ﷺ ما تلقى قال :إنَّه ليس عليك بأسٌ إنَّما هو أبوك وغلامك]

رواه أبو داود 4108، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود 4106

❁ حيـاء عائشة رضى الله عنها :

وعائشة رضي الله تعالى عنها استحيت من عمر بعد وفاة عمر، وهذا حياءٌ عظيمٌ فقالت: "كنت أدخل البيت الذي دُفن فيه رسول الله ﷺ وأبي ﵁ واضعةٌ ثوبي يعني بدون حجاب، وأقول إنَّما هو زوجي وأبي" فليس هناك من أحدٍ غريبٌ مع أنَّهم موتى، فلمَّا دُفن عمر ﵁ والله ما دخلت إلَّا مشدودةٌ عليَّ ثيابي حياءً من عمر ﵁ ،

مع أنَّ المكان الذي كان فيه مفصولٌ، فهي كانت في مكان غير المكان الذي فيه القبور ولكن مع ذلك هو كان في هذا حجرتها والمكان الذي تدخل فيه مجاورٌ لهذا مع ذلك كانت تستحي لوجود عمر، فلا تدخل إلَّا وعليها ثيابها.

❁ حـيـاء عـثـمـان رضي الله عنه :

عثمان رضي الله عنه ضرب المثل بين الصَّحابة في الحياء حتى قال ﷺ { والسَّلام ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة } والله إنَّ الملائكة لتستحيي من عثمان، قال : { الحياء من الإيمان وأحيى أمتي عثمان } فأشدُّهم حياءً هو عثمان رضي الله عنه، ومن شدَّة حيائه قال عنه الحسن: "إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الماء أن يقيم صلبه .
فحتى عند الغسل وليس عنده أحدٌ فلا يتعرَّى من كُلِّ ثيابه، لا يقيم صلبه وإنَّما يكون منحنياً زيادةً في السِّتر، مع أنَّه ليس عندهم أحدٌ، وقال أبو موسى " : رضي الله عنه إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياءً من ربِّي "

وعن أنس رضي الله عنه قال: "كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إذا نام لبس ثياباً عند النَّوم مخافة أن تنكشف عورته.

كيف يكون الحياء من الله تعالي :

فلو أردنا أن نربط الحياء بعلاقة الإنسان بربِّه؛ فكيف يكون الحياء من الله؟ أن الإنسان يستحيي من ربِّه في أن يعصيه، وقد أسدى إليه ربُّه من المعروف وأكرمه بالنِّعم وأسبغ عليه من الآلاء ما لا يعد ولا يحصى، فإنَّ الإنسان بطبعه إذا أحسن إليه شخصٌ أنَّه يستحيي من معصيته ومخالفة أمره، فلو أحسن إليه بشربة ماءٍ استحيا من أن يعصيه وأن يخالفه أو يؤذيه، فكيف بالله تعالى! فالحياء من الله: أنَّ الإنسان يتذَّكر النِّعم فيستحيي من المعصية ومن مخالفته وأن يراه على صورةٍ أو هيئةٍ يكرهها ويبغضها.

ومن الحياء أيضاً في العلاقة بين العبد وربِّه: حياءُ العاصي ممَّن عصاه، فإنَّه إذا عصاه يستحيي إذا كان مؤمناً تقياً، كيف أنَّه أنعم عليه وفعل له من المعروف وأسبغ عليه النِّعم؛ ثُمَّ هو يعصيه بعد ذلك، ! فيستحي ويتوب ويستقيم ويؤوب إلى الله

، واذكر موقف الأنبياء في يوم العرض علي الله تعالي , كم استحيوا من ربهم في حديث الشَّفاعة المعروف، عندما يجتمع النَّاس يوم القيامة وينزل بهم الكرب والهم ما لا يعلمه إلَّا اللهُ ، حتى يتمنُّوا الفكاك ولو إلى النَّار، فيفزع النَّاس من هذا الوقوف في هذا اليوم العظيم تحت الشَّمس والزِّحام خمسين ألف سنة على أقدامهم لا راحة ولا قعود، فيفزعون إلى الأنبياء فيأتون آدمَ فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربِّك حتى يريِّحنا من مكاننا هذا،

فيقول: لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربَّه منها، يعني: يستحي من الله تعالى فكيف يتقدَّم للشَّفاعة وهو قد فعل فعلته، مع أنَّ الله تاب عليه

{ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْه }

فيذهبون بعده إلى نوح، فيقولون له: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، قال: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربَّه منها، أو يقول لي دعوةٌ دعوت بها على قومي مع أنَّ لها وجه، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً،

فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناك وذكرت خطيئته التي أصاب مع أنَّها كذبٌ لله وفي الله، لكن لأنَّ صورتها صورة خطيئة ولو أنَّ التَّبرير موجودٌ فيستحيي ويقول: ائتوا موسى الذي كلَّمه الله وأعطاه التَّوراة،

قال: فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب أنَّه قتل نفساً لم يؤمر بقتلها، قد تاب الله عليه وصار نبياً ورسولاً وعمل أعمالاً، ومع ذلك يستحيي ربَّه منها، ويقول: ائتوا عيسى، ثُمَّ يحوِّلهم على النَّبيِّ ﷺ محمد فيشفع فتقبل شفاعته فيهم.

فالصَّالحون ولو كانوا قد تابوا وأنابوا، لكن سابق المعصية التي حصلت يوجب حياءً من الرَّب عندهم، ولذلك لما احتضر الأسود بن يزيد بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: "مالي لا أجزع ومن أحقُّ بذلك منِّي، والله لو أتيت بالمغفرة من الله

لهمَّني الحياء منه مما صنعت" يعني لو غفر لي لكن يبقى الذَّنب الذي فعلته أستحيي منه "إنَّ الرَّجل يكون بينه وبين الذَّنب الصَّغير فيعفو عنه ولا يزال مستحياً منه"

إذا ما قال لي ربِّي أما استحييت تعصيني
وتخفي الذَّنب من خلقي وبالعصيان تأتـــــيـني

يا خجلة العبد من إحسان سيده يا حسرة القلب من ألطاف معناه
فكم أسأت وبالإحسان قابلني وخجلتي وحيائي حين ألقاه
يا نفس كم بخفي اللطف عاملني وقد رآني على ماليس يرضاه
يا نفس كم زلَّةٍ زلَّت بها قدمي وما أقال عثاري ثم إلا هو
يا نفس توبي إلى مولاك واجتهدي وصابري فيه إيقاناً برؤياه

من العقوبات نزع الحياء :

أن يبتلى العاصي بإنسلاخ قبح العمل من قلبه حتى لا يعود يستحيي منه ولو أمام الناس، ولذلك يجاهر بالمعاصي ويصوِّرون صوراً، ويأتون ويحدِّثون: فعلنا كذا مع فلانة، وسافرنا وفعلنا كيت وكيت، وهذه هي الصُّور، ويوِّزع على النَّاس؛ فهذا رجلٌ وصل إلى درجة أنَّه زال من قلبه استقباح الذَّنب وزال الحياء، فصار لا يبالي لو اطَّلع ورآه النَّاس، بل يتباهى بذلك، ولذلك هدَّد النَّبيُّ ﷺ بقوله : " كُلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين، وإنَّ من الإجهار أن يعمل الرجل في الليل عملاً ثم يصبح قد ستره ربه فيقول يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه"

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدُّنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخيرٍ ويبقى العود ما بقي اللحاء